سلسلة تفريغات شبكة بينونة

الوصية الأخيرة

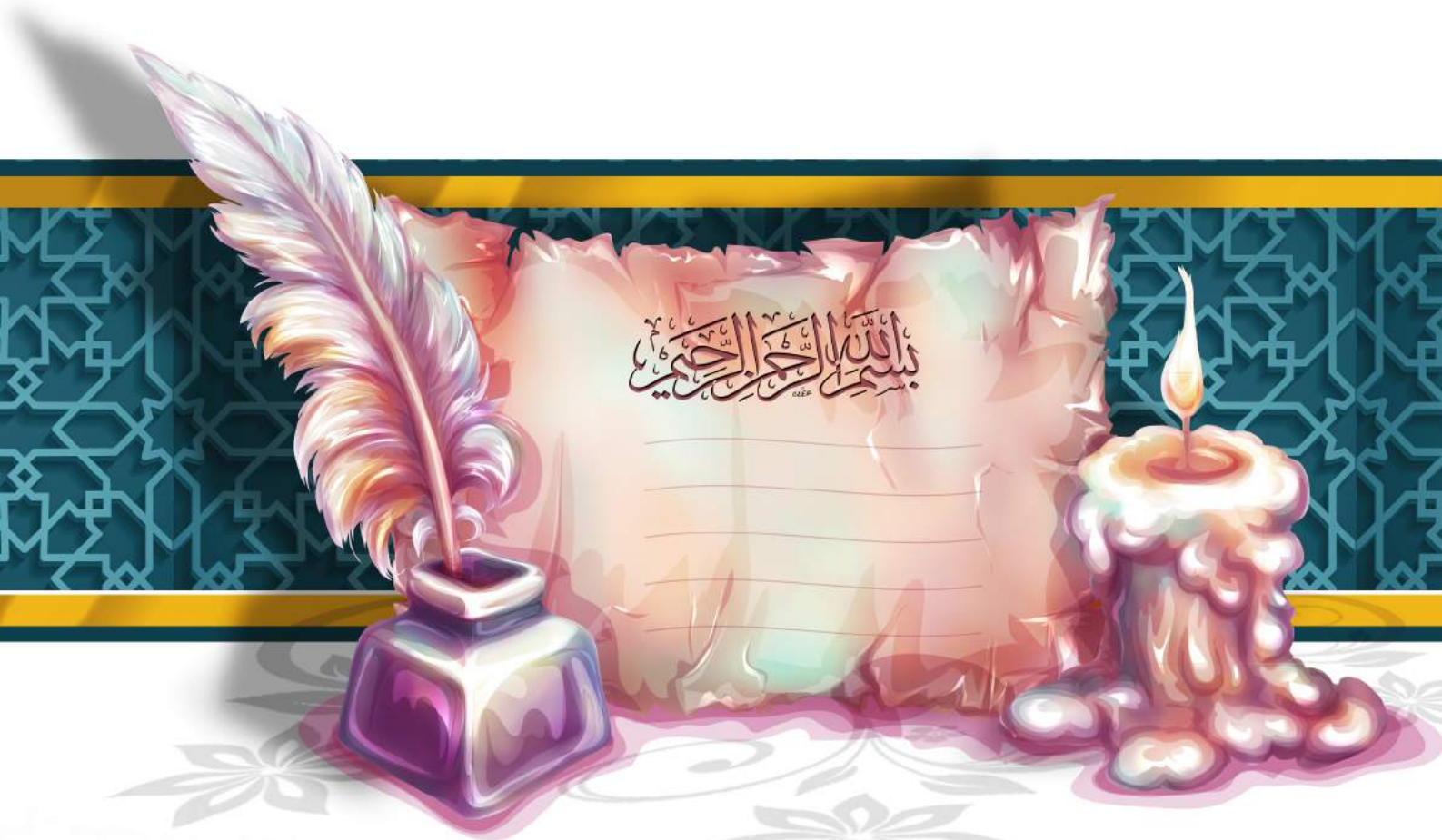

الشيخ يوسف بن حسن الحمادي

قام به فريق التفريغ في شبكة بينونة للعلوم الشرعية

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net

بسم الله الرحمن الرحيم

يسرّ شبكة بينونة للعلوم الشرعية أن تقدم لكم تفريغًا لمحاضرة

بعنوان

الوصية الأخيرة

للشيخ

يوسف بن حسن الحمادي

-حفظه الله تعالى -

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به الجميع

حقوق الطبع محفوظة لشبكة بينونة للعلوم الشرعية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، أمَّا بَعْد:

فإن محاضرة هٰذِه الليلة إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ ستكون بعنوان **"الوصية الأخيرة"**.

✍ **"الوصية الأخيرة"** وهي في الحقيقة والواقع ليست وصية، بل وصايا صدرتْ من أحرص الناس علينا وأشفقهم علينا وأشدِّهم سعيًا لنفعنا وإيصال الخير إلينا، إنه نبينا محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي ما ترك خيرًا إلا دلَّنا عليه وأمرنا به، ولا شرًّا إلا حذَّرنا منه ونهانا عنه، الذي قال عن نفسه وهو الصادق المصدوق صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما بقي شيءٌ يقرِّب إلى الجنة ويُباعِد من النار إلى وقد بُيِّن لكم**»[1].

---

(١) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١ / ٢٦٧) برقم: (٦٥)

أقف معكن وإياكن أيتها الأخوات الكريمات مع هٰذِه الوصايا؛ لأنها وصايا شرعية تُصلح القلب، وتُسعد النفس، وتزيد الإيمان، وتُوقظ من الغفلة، وتُنبه عَلَىٰ الأخطاء، وتُحذِّر من المخالفات والزلات، وصايا تُنقذ المجتمعات، وتبني الأُسر، وتصقل الشخصيات، وفوق ذلك كله: تقرِّب من الله جَلَّ وَعَلَا، وتُدخِل الجنة، وتُباعد من النَّار بإذن الله.

☜ **معاشر الأخوات؛ قبل الدخول في تلك الوصايا أود أن أقول لكن:**

إنَّ للبنت والفتاة قدرًا عاليًا عند الله عَزَّ وَجَلَّ ومنزلةً رفيعة، هٰذِه المنزلة تحثكن بإذن الله عَلَىٰ رعاية هٰذِه الوصايا وعلى الاهتمام بها والإقبال عليها والقيام بحقِّها من حيث العمل والتطبيق، **ما هي هٰذِه المنزلة؟**

✍ إنَّ من نِعم الله عَلَىٰ عبده أن يهب له الذرية، وأن يقر عينه برؤية أولاده من بنين وبنات كما قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٥٠)﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠].

تأملي أختي قول ربكِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا﴾، إذًا البنت هبةٌ من الله لهٰذَا الإنسان.

⇦ **وما هي الهبة؟** الهبة هي العطية والهدية.

⇐ وإنَّ من مزايا ديننا: أنْ اعتنى بالمرأة غاية الاعتناء، وخالف ما عليه أهل الجاهلية من كراهة البنات، ونعى ما يجري لأحدهم من الحزن والأسف عند ولادة امرأة أحدهم أنثى، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٥٩)﴾ [النحل: ٥٨، ٥٩].

بمبعث نبينا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حرَّم ما يقوم به أهل الجاهلية من وأد البنات، أي: من دفنهن وهن عَلَىٰ قيد الحياة، يقول عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام: «إِنَّ اللهَّ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ: عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ البَنَاتِ، وَمَنَعَ وَهَاتِ»[1].

⇐ **مما يدل عَلَىٰ رعاية الإسلام بالبنات:** ما ورد من النصوص العديدة في الإحسان إلى البنات، والحث عَلَىٰ تربيتهن التربية الطيبة، والقيام بشؤونهن من نفقةٍ وتعليمٍ ونحو ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٦٨) برقم: (٨٤٤)

⇦ يقول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ ابْتُلِيَ بِشَيْءٍ مِنَ البَنَاتِ فَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ»[١]

⇦ وقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنِ ابْتُلِيَ مِنَ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ»[٢].

⇦ وقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ لَهُ ابْنَتَانِ، فَيُحْسِنُ إِلَيْهِمَا مَا صَحِبَتَاهُ، أَوْ صَحِبَهُمَا إِلَّا أَدْخَلَتَاهُ الْجَنَّةَ»[٣].

⇦ وقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ دَخَلْتُ أَنَا وَهُوَ الجَنَّةَ كَهَاتَيْنِ»[٤].

⇦ وقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَكْرَهُوا الْبَنَاتِ، فَإِنَّهُنَّ الْمُؤْنِسَاتُ الْغَالِيَاتُ»[٥].

---

(١) متفق عليه

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٣٨) برقم: (٢٦٢٩)

(٣) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٧ / ٢٠٧) برقم: (٢٩٤٥)

(٤) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٣٨) برقم: (٢٦٣١)

(٥) أخرجه أحمد في "مسنده" (٧ / ٣٨٧٠) برقم: (١٧٦٤٧)

⇦ وقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ، أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ، أَوِ ابْنَتَانِ، أَوْ أُخْتَانِ، فَأَحْسَنَ صُحْبَتَهُنَّ، وَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ، وَاتَّقَى اللهَ فِيهِنَّ، دَخَلَ الْجَنَّةَ»[1] رواه الترمذي.

⇦ وعند أبي داود، قال عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام: « مَنْ عَالَ ثَلَاثَ بَنَاتٍ، فَأَدَّبَهُنَّ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ، وَزَوَّجَهُنَّ، فَلَهُ الْجَنَّةُ»[2].

كل هٰذِه الأحاديث تدل عَلَىٰ ماذا؟

تدل عَلَىٰ أنَّ البنات هبةٌ من الله جَلَّ وَعَلَا، يُكرِم بها مَن يشاء من عباده، فالبنت كرامةٌ للإنسان، لا إهانة.

⇦ **ومن فضائل الإحسان إليها ورعايتها والقيام بحقِّها:** الجنة، والحجاب من النار، والتوفيق لصحبة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الجنة. أبعدَ هٰذَا يصحُّ أن تُهان البنت أو أن يُتضجر منها؟! حاشا وكلا.

إذا أدركتِ أيتها الأخت الكريمة وتبيَّن لكِ فضل رعاية البنت وثواب تربيتها، إليكن أيتها الأخوات الكريمات وصايا نبينكن صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) أخرجه الترمذي في "جامعه" (٤ / ٣٢٠) برقم: (١٩١٦)

(٢) أخرجه أبو داود في "سننه" (٤ / ٣٣٨) برقم: (٥١٤٧)

التي قالها في آخر حياته وقبل موته، وأدعوكِ أيتها الأخت إلى أن تجعلي نفسكِ هي المقصودة من هٰذِه الوصايا؛ لأن حقيقة هٰذِه الوصايا أنها رسائل من نبينا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موجهة إلى كل مسلمٍ يريد الله جَلَّ وَعَلَا والدار الآخرة.

✍ من هٰذِه الوصايا: الوصية بحُسن الظن بالله عَزَّ وَجَلَّ.

يقول جابر بن عبد الله رضي الله تَعَالَىٰ عنه: سَمِعْتُ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَبْلَ وَفَاتِهِ بِثَلَاثٍ -أي: بثلاثة أيام-، يَقُولُ: «**لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ تعالى**»(١) رواه مسلم.

إحسان الظن بالله عَزَّ وَجَلَّ من مقامات الإيمان، ودلائل تحقيق التوحيد لله عَزَّ وَجَلَّ، وهو من ثمرات المعرفة الصحيحة لأسماء الله عَزَّ وَجَلَّ وصفاته.

حُسن الظن بالله عَزَّ وَجَلَّ؛ هٰذَا المقام العظيم الذي ما تحلّى به امرؤٌ مسلم إلا استقام سلوكه، أقبلَ بقلبه عَلَىٰ ربِّه وهو منشرح الصدر، مطمئن القلب، هٰذَا المقام العظيم ما تخلَّق به أحدٌ إلا استصحب الأعمال الصالحة في أعماله

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٤/ ٢٢٠٥) برقم: (٢٨٧٧)

كلها، وحصل له الرضا التام واليقين الكامل بقدَر الله عَزَّ وَجَلَّ وقضائه وحُكمه.

⇦ **ما معنى حُسن الظن بالله؟**

✍ **حُسن الظن بالله** الذي وصَّى به النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في آخر حياته معناه:

أن يظن العبد أنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يُحسِن إلى مَن أحسن في عمله

أنه جَلَّ وَعَلَا لا يُخلِف وعده

أنه يقبل توبة مَن تاب إليه، ويفرح بطاعة مَن أقبل عليه

وإذا تحقَّق المرء المسلم من هٰذَا المعنى؛ فإنَّ الواجب عليه أن يظن بالله تَعَالَىٰ ما هو أهله، وأن يعتقد بالله ما يليق بجلاله وعظمته وما تقتضيه أسماؤه الحسنى وصفاته العليا؛ مِن رحمة مَن سعى في طلب رحمته، والتوبة عَلَىٰ مَن تاب مِن معصيته، ومِن تفريج كربة مَن نزلت به كربة فلجأ إليه، ومِن إزالة شدة مَن نزلت به شدة فسأل الله وتضرع إليه، ومِن إجابة دعاء مَن دعاه وأنَّ الله معه ومطلعٌ عليه حيث كان، إلى آخر ذلك.

وهٰذَا هو معنى قول النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يرويه عن ربِّه عَزَّ وَجَلَّ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي»(١).

➢ **قال بعض العلماء**: معناه: " ظن الإجابة عند الدعاء، ظن القبول عند التوبة، ظن المغفرة عند الاستغفار، وظن قبول الأعمال عند فِعلها مع توفر شروطها والتمسك بسُنة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ".

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ كلمة عظيمة، قال: "فإنَّ العبد إنما يحمله عَلَىٰ حُسن العمل؛ حُسن ظنه بربه أن يُجازيه عَلَىٰ أعماله ويُثيبه عليها ويتقبلها منه".

☜ ولهٰذَا قال الحسن البصري كلمة عظيمة: "إنَّ المؤمن أحسنَ الظن بربه فأحسن العمل، وإن الفاجر أساء الظن بالله فأساء العمل".

إن هٰذِه الخصلة المباركة "**حُسن الظن بالله**" مطلوبةٌ من العبد في جميع شؤونه وفي كافة أحواله، وتتأكد هٰذِه الخصلة عند حصول الكُرب ووقوع الشدائد، وعند فراق الدنيا، وفي غير ذلك من المواقف التي تضعف فيها

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ١٢١) برقم: (٧٤٠٥)

النفس ويقوى الشيطان، ولهٰذَا كان من هدي النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التخفيف عن أصحابه بتذكيرهم بهٰذِه الصفة الحميدة والخصلة الكريمة.

يقول أبو بكر رضي الله عنه: قلت للنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا في الغار -أي: في الهجرة، عندما جاء الكفار إلى الغار، ماذا قال أبو بكر؟-: **"لو أنَّ أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا"**، ماذا كان رد النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ رد عظيم يطمئن القلب ويريح النفس، قال: «**مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟**»[1].

كيف كانت نفسية أبي بكر في هٰذِه الحال «**مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟**»؟ وعلى هٰذَا سار أصحاب النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في البشارة بهٰذِه الصفة وبيان فضائلها.

يقول حيَّان أبي النضر: دَخَلْتُ مَعَ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ عَلَىٰ أَبِي الْأَسْوَدِ الْجُرَشِيِّ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَجَلَسَ، فَقَالَ وَاثِلَةُ لأبي الأسود -المريض هو مَن؟ أبو الأسود، والزائر هو واثلة بن الأسقع-: وَاحِدَةٌ، أَسْأَلُكَ عَنْهَا؟ قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: كَيْفَ ظَنُّكَ بِرَبِّكَ؟ قَالَ: فَقَالَ

---

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" (٢٥ / ٣٩٨) برقم: (١٦٠١٦)

أَبُو الْأَسْوَدِ: وَأَشَارَ بِرَأْسِهِ، أَيْ حَسَنٌ، قَالَ وَاثِلَةُ: أَبْشِرْ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ» والحديث رواه الإمام أحمد.

❁ **إذًا الواجب علينا**: إحسان ظننا بربنا، والاستسلام لقضائه وأحكامه، والرضا بقضائه بفضله ونعمائه، ويعيننا عَلَىٰ ذلك كله؛ تعلُّم توحيد الله عَزَّ وَجَلَّ، ومعرفة معاني أسماء الله ومعاني صفاته، فمن كان بالله أقوى معرفةً؛ كان أشد الناس حُسن ظنٍّ به سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ، مع النظر في أحاديث النبي عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام والتأمُّل في سيرته والوقوف عَلَىٰ هديه في عبادته لربه سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ، هٰذَا أيضًا مع اللجوء إلى الله عَزَّ وَجَلَّ وسؤاله التوفيق لحُسن الظن به. مَن أخذ بهٰذِه الوسائل وتمسك بها، فليبشر بالفلاح وبالخير.

✍ وصية أخرى وصَّى بها صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في آخر حياته:

روى الإمام الترمذي من حديث أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ قال: "سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ"، إذًا هٰذِه الوصية كانت في حجة الوداع، في آخر حياة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ما هي هٰذِه الوصية؟

"قَالَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتَّقُوا اللهَّ رَبَّكُمْ، وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ»"[1].

خمسة أعمال يوصي بها صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أعظم جَمْعٍ شهِده المسلمون في الإسلام وذلك في حجة الوداع، أخبر صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ هٰذِه الأعمال من موجبات دخول الجنة والخلود فيها والتنعُّم بنعيمها، وكوْن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذكِّر بهٰذِه الأعمال في هٰذَا الجمع الكبير يدل عَلَىٰ أنَّ هٰذِه الأمور أصول وأُسس ينبغي عَلَىٰ المسلمين أن يراعوها وأن يقوموا بحقِّها.

نأتي عَلَىٰ هٰذِه الخصال الخمس والأعمال التي أرشد إليها النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واحدةً واحدة:

❶ التقوى هي أول هٰذِه الوصايا.

التقوى أيتها الأخوات، وما أدراكن ما التقوى! منزلةٌ عظيمة من منازل القُرب من الله، ومقامٌ جليل من مقامات العبودية لله، التقوى أصل الفلاح، ومفتاح كل خير عَلَىٰ المتصف بها، لأجل التقوى شَرع الله العبادات وأمر

---

(١) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١٠ / ٤٢٦) برقم: (٤٥٦٣)

بالعديد من الفرائض والواجبات، بالاتصاف بالتقوى تتوالى الأرزاق عَلَىٰ الناس ويُغدَق عليهم من بركات السماء والأرض.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا﴾ ما هي الثمرة؟ ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

تقوى الله سببٌ عظيم لتيسير الأمور وتسهيل المطالب، طريقٌ كبير إلى كشف الشدائد والمخرَج من المصائب والآلام والهموم والغموم، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (٤)﴾ [الطلاق: ٤].

أيتها الأخوات

• مَن حقَّق تقوى الله في نفسه ووقرَ تعظيم الله في قلبه، كان الله معه في شأنه كله؛ في التسديد والتأييد والإعانة والتوفيق، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (١٢٨)﴾ [النحل: ١٢٨]، ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦)﴾ النتيجة؟ ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧)﴾ [الليل: ٥ – ٧].

• مَن رسخت في قلبه تقوى الله، وفَّقه الله لمعرفة الحق من الباطل، والتمييز بين ما يحبه الله ويرضاه وما يُبغضه وما يُسخطه، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩].

• بتقوى الله يصل المرء إلى ولاية الله جَلَّ وَعَلَا؛ فإنَّ تقوى الله والإيمان به أعلى أوصاف أولياء الله وأجلّ نعوتهم، ألم يقل الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣)﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣]؟!

• بالتقوى يتفاضل الناس في منازلهم ويتفاوتون في درجاتهم، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

• **في الصحيحين**، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ: مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: «**أَتْقَاهُمْ**»(١).

• وسُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ، فَقَالَ: «**تَقْوَى اللهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ**»(٢).

---

(١) متفق عليه

(٢) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٢ / ٢٢٤) برقم: (٤٧٦)

هٰذِه الثمرات وهٰذِه الفضائل وهٰذِه الطيبات لهٰذِه الخصلة المباركة تبيِّن لنا لماذا تكفَّل الله بنفسه في كتابه بالوصية بالتقوى، قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١]، وقال: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾[البقرة: ١٩٧].

⇦ **بعد هٰذَا، لقائلة أن تقول:** إذا كان هٰذَا شأن التقوى، إذًا ما هو معناها؟ ما المراد بها؟

✍ **الجواب وباختصار**: التقوى: قيامٌ بطاعة الله، تحرٍّ لأوامر الله، سعيٍ في عبادة الله، انتهاءٌ عن معصية الله، هجرٌ لمحارم الله، فتقوى العبد لربه حقيقة أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربِّه -من غضبٍ وسخطٍ وعقاب- وقاية تقيه من ذلك، وهو فِعل طاعته واجتناب معصيته.

لهٰذَا قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: "المتقون اتقوا ما حُرِّم عليهم، وأدَّوا ما افتُرض عليهم".

قال ابن مسعود رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢]: "أَنْ يُطَاعَ فَلا يُعْصَى، وَأَنْ يُذْكَرَ فَلا يُنْسَى، وَأَنْ يُشْكَرَ فَلا يُكْفَرَ".

قال طلق بن حبيب رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ (أحد السلف): "التقوى: أن تعمل بطاعة الله عَلَىٰ نورٍ من الله" أي: عَلَىٰ عِلم وبصيرة وبيِّنة بما تأتي وتقوم به من العبادة "على نورٍ من الله، ترجو ثواب الله" أي: الباعث لك عَلَىٰ ذلك والدافع هو طلب مرضاة الله "وأن تترك معصية الله عَلَىٰ نورٍ من الله تخاف عقابه".

كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللهُ إِلَى رَجُلٍ رسالة يقول له فيها: "أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ الَّتِي لَا يَقْبَلُ غَيْرَهَا، وَلَا يَرْحَمُ إِلَّا أَهْلَهَا، وَلَا يُثِيبُ إِلَّا عَلَيْهَا، فَإِنَّ الْوَاعِظِينَ بِهَا كَثِيرٌ، وَالْعَامِلِينَ بِهَا قَلِيلٌ"، فنسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يجعلني وإياكن من هٰذَا القليل.

☜ **أخواتي الكريمات**؛ إنَّ حقيقة تقوى الله عَزَّ وَجَلَّ وأصلُها: عملٌ يقوم بقلب الإنسان، ولهٰذَا قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**التَّقْوَى هَاهُنَا**» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثًا[1].

إذا وُجِدت التقوى في القلب؛ صلُحت بقية الجوارح والأعضاء، **الدليل**: قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ؛ صَلَحَ**

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٥ / ٥٠) برقم: (١٥٩٩)

الجَسَدُ كُلُّهُ»[1]، فليست التقوى مجرد دعوى، ولهذَا فإنَّ من علامات التقوى: تعظيم الله، وتعظيم شعائره.

إذا وُجِدت التقوى في القلب؛ وُجِد القيام بأمر الله عَزَّ وَجَلَّ، قال سُبْحَانَهُ: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ (٣٢)﴾ [الحج: ٣٢].

✓ **من علامات المتقي**: أنه سريع التوبة إلى الله إذا أذنب أو مسَّه شيءٌ من الشيطان ففعل محرَّمًا أو ترك واجبًا، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ (٢٠١)﴾ [الأعراف: ٢٠١].

نعم، يتذكرون من أي بابٍ دخل عليهم الشيطان فيُبصرون ويبادرون إلى الاستغفار واستدراك ما صدر منهم بالتوبة النصوح والحسنات الماحية.

✓ **من علامات المتقي**: الانتفاع بكتاب الله والاستفادة منه، والتأثر بمواعظ القرآن، والاتعاظ بقصصه وأمثاله، والعمل بأوامره ونواهيه، قال تعالى: ﴿الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢)﴾ [البقرة: ١، ٢].

---

(١) متفق عليه

☜ أخواتي الكريمات؛ مَن أرادت منكن تحقيق التقوى في قلبها:

- فعليها بالدعاء، فقد كان مِن دعائه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى»[1].

- عليها أن تُقبِل عَلَىٰ كتاب الله، قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٥٥)﴾ [الأنعام: ١٥٥].

- عليها أن تصحب أهل الخير والصلاح، وأن تتعاون معهم عَلَىٰ ما يحقق التقوى في نفسها، ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]، وهكذا محاسبة النفس ومتابعتها ولومها عَلَىٰ تقصيرها، كل هٰذَا يُحيي القلب ويصل المرء إلى درجة اليقين.

يقول ميمون بن مهران رَحِمَهُ اللهُ (أحد السلف): **"المتقي أشد محاسبةً من الشريك لشريكه"**.

ويجمع هٰذِه الأسباب أخواتي وغيرها لتحصيل التقوى في القلب: تعلُّم العلم الشرعي الصحيح والتفقه في الدين، والعلم بأنَّ العلم الشرعي هو الأساس والأصل لبناء التقوى في القلب.

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٨١) برقم: (٢٧٢١)

❷ الوصية الثانية: «وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ».

هي الركن الثاني من أركان الإسلام، نتكلم عليها ونؤكد عليها لأن نبينا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكَّد عليها ووصى بها مع العلم بأنها فرض.

☜ **نعم أيتها الأخوات**، الصلاة هي وصية الله عَزَّ وَجَلَّ لأنبيائه ورسله، قال تَعَالَىٰ عن عيسى عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١)﴾ [مريم: ٣١].

الصلاة هي وصية النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لنا وهو عَلَىٰ فراش الموت وعند فراقه الدنيا، يقول علي رضي الله عنه: كَانَ آخِرُ كَلَامِ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ، اتَّقُوا اللهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**»(١).

ويقول أنس رضي الله عنه: "كَانَتْ آخِرُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُغَرْغِرُ بِهَا لِسَانُهُ: «**الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ**»(٢).

تفكَّرن أيتها الأخوات في هٰذَا الموقف وقِفوا عنده: يُعاني صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سكرات الموت، يُغمى عليه ثم يصحو وهو في هٰذِه الشِّدة يوصي

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم: (١٥٨)

(٢) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١٤ / ٥٧٠) برقم: (٦٦٠٥)

ويقول: «الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ». ليس هٰذَا بمستغرَب؛ فإنَّ الصلاة هي أفضل الأعمال بعد التوحيد.

يقول عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أَنَّ رَجُلًا أتى رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلَهُ عَنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ؟ فَقَالَ: «الصَّلَاةُ»، قَالَ الرجل: ثُمَّ مَهْ؟ -يعني: ما الذي بعد ذلك؟- قَالَ: «الصَّلَاةُ»، قَالَ: ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ».

ولهٰذَا قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -واحفظوا هٰذَا الحديث-: «الصّلَاةُ خَيْرُ مَوْضُوعٍ»[1] أي أنَّ الصلاة هي أفضل ما شرعه الله تَعَالَىٰ لكم، وهي أحسن العبادات التي أوجدها الله عليكم، هٰذَا معنى «الصّلَاةُ خَيْرُ مَوْضُوعٍ».

☜ أخواتي الكريمات؛ إنَّ مما يبيِّن لنا شأن هٰذِه العبادة وفضلها: أنَّ جميع الفرائض والواجبات من زكاة وصيام وحج وجهاد وبر والدين وصلة أرحام إلى غير ذلك، كلها أُمِر بها النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفُرِضت عليه في الأرض، إلا الصلاة فإنْ فرضها والأمر بها وإيجابها كان في السماء في ليلة الإسراء والمعراج.

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم: (٢٤٣)

☜ **أيتها الأخوات الكريمات**؛ لَمَّا كان للصلاة الأثر البالغ في صلاح البيوت وفي صلاح الأُسر وفي نشوء الأولاد عَلَىٰ الخير ومحبتهم له وتعوِّدهم عليه، أَمَرَ الله بها نبيه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]، حتى إنَّ إبراهيم عليه السلام سأل الله ودعاه، ماذا قال؟ قال: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ [إبراهيم: ٤٠]، مما يؤكد أنَّ القيام بالصلاة له أثرٌ طيبٌ مباركٌ عَلَىٰ الأُسر، ولهٰذَا أثنى الله عَلَىٰ إسماعيل عليه السلام عَلَىٰ عنايته بأهله واهتمامه بهم في أمره بالصلاة، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا (٥٥)﴾ [مريم: ٥٥].

بل إنَّ مِن عَجَبِ أمر الصلاة ومما يدل عَلَىٰ عِظَم مكانتها وكبير منزلتها، أنَّها من عبادات وأعمال ومهام الملائكة، وأنَّ من أعمالهم الركوع والسجود لله جَلَّ وَعَلَا، يقول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ** - أي: صار لها صوت- **مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ**»[1].

---

(١) أخرجه الحاكم في "مستدركه" (٢ / ٥١٠) برقم: (٣٩٠٥)

إذا كانت هٰذِه منزلة الصلاة أيتها الأخوات الكريمات، فإنَّ هٰذَا يعني أنَّ لها ثمرات عظيمة، ولها فوائد عديدة، ولها أجورٌ مضاعفة، وثوابٌ جزيل عند الله عَزَّ وَجَلَّ.

⇦ فما هي ثمرة القيام بالصلاة؟ ما هو أثر الصلاة في حياتنا وأهميته بالنسبة لنا؟

✍ **والجواب**: إنَّ أعظم فائدة يفوز بها المصلي هي امتثال أمر الله عَزَّ وَجَلَّ في قيامه بأحب الأعمال وأجلِّها عنده وهي الفرائض، والصلاة هي أهم الفرائض.

للصلاة أثرٌ في صلاح أعمالنا في الدنيا وفي استقامة سلوكنا وفي اعتدال أخلاقنا، بل هي طريقٌ لاكتساب كل خُلقٍ فاضل، وهي سبيلٌ إلى الهداية إلى كل عملٍ يُرضي الله عَزَّ وَجَلَّ.

قال الله سُبْحَانَهُ: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

أي: إنَّ من الآثار الجميلة الحميدة للصلاة أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، فكل مخالفة تميل إليها النفوس، وكل مخالفة تُنكرها طبيعة الإنسان وتأباها فطرته وعقله فإنَّ الصلاة تنهى عن مباشرته والقيام به.

في العناية بالصلاة والمحافظة عليها: الفوز براحة النفس، وطمأنينة القلب، وانشراح الصدر، وهدوء البال، ونحو ذلك مما يتمناه كل فرد عَلَىٰ وجه الأرض. كان صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول لمؤذنه بلال: «**يَا بِلَالُ، أَقِمْ الصَّلَاةَ، أَرِحْنَا بِهَا**»[1]، قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**»[2].

راحته واطمئنان قلبه في صلاته، ولهٰذَا لا نستغرَب أخواتي إذا قرأنا في بعض الأحاديث طول صلاة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكثرة قراءته في الركعة الواحدة؛ فإنَّ هٰذَا كله سببه ما يحصل للنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن راحة النفس وسرور القلب وانشراح الصدر.

---

(١) أخرجه أبو داود في "سننه" (٤ / ٤٥٣) برقم: (٤٩٨٥)

(٢) أخرجه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (٤ / ٣٦٦) برقم: (١٥٣٢)

يقول حذيفة رضي الله عنه: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ -يعني: سورة البقرة- فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ -يعني: إذا وصل إلى الآية رقم مائة سيركع- ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ -يعني: سيقرأ بسورة البقرة في ركعة واحدة-، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ»، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ.. إلى آخر الحديث[1].

⇦ **أقول**: ربما تستغرب بعض السامعات لهٰذَا الحديث مما ورد فيه، كيف يُقرأ هٰذَا العدد الكبير من الآيات في ركعة؟!

✍ **الجواب**: إنَّ هٰذَا الاستغراب ناشئٌ حقيقة بسبب ضعف الأثر الذي يعقب الصلاة، أو الأثر الذي يجده المرء في صلاته، وإلا لَمَا وَجِد هٰذَا الاستغراب، ولهٰذَا قوله عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ» له مدلوله.

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٥٣٦) برقم: (٧٧٢)

☜ **هنا أقول أخواتي**: إنَّ هٰذَا القلق الذي يعيشه كثير من الناس والاضطراب الذي يلمسونه في حياتهم والضيق الذي يُحسون به في نفوسهم، ما هو إلا بسبب إهمال أعظم أسباب الراحة وأقرب طرقها وهي الصلاة.

فالصلاة إغاظة للشيطان، فمِن أهداف الشيطان؛ صد الإنسان عن الصلاة كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾ [المائدة: ٩١]، قيام الإنسان بالصلاة فيه مخالفة لمقصود الشيطان، ولهٰذَا فإنَّ الشيطان يحقد عَلَىٰ المسلم إذا رآه ساجدًا لله مصليًّا له.

يقول النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وانتبهن لهٰذَا الحديث-: «**إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ**» ماذا يحصل للشيطان؟ قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي**» الله أكبر! «**إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ، اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي، يَقُولُ: يَا وَيْلِي أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِي النَّارُ**»[1].

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٦١) برقم: (٨١)

هٰذَا حال الشيطان متى؟ إذا كنتِ أيتها الأخت قرأتِ آيةً فيها سجدة، فكيف إذا كنتِ محافظة عَلَىٰ الصلاة، مداومة عليها في أوقاتها، مراعية لأركانها وواجباتها وسُننها، ساعية في بذل أسباب الخشوع فيها، كيف سيكون حال الشيطان؟! لا شك أنَّ ذلك يُغيظه أكثر.

للصلاة أثرٌ عظيم في دفع الشدائد والكُرب، بل وزوال المصائب أيضًا وذهاب الهموم والغموم والضغوط والنفسية والمتاعب التي لا يسلَم منها أحد، لذا أمر الله سُبْحَانَهُ بالاستعانة بالصلاة والقيام بها واللجوء إليها، قال سُبْحَانَهُ: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ١٥٣].

وكان مِن هدي النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسُنته: الفزع إلى الصلاة إذا اشتدت عليه الأمور؛ فلَمَّا اشتدَّ أذى الكفار للنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتكررت عليه شتائمهم وسِبابهم حيث وصفوه بالجنون وبأنه شاعر وكاهن وغير ذلك من الاتهامات، أمره الله جَلَّ وَعَلَا بالصلاة فقال -وانتبهن لهٰذِه الآية أيتها الأخوات-: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧)﴾ [الحجر: ٩٧] أي: الله عَزَّ وَجَلَّ يعلم حالك وما يجري لك بسبب إيذائهم لك. ما هو المطلوب؟ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (٩٨)﴾ [الحجر: ٩٨] أي: من المصلين.

فالصلاة بها ترتفع الشدة وبها تحصل الحماية؛ لَمَّا حثَّنا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ صلاة الفجر ماذا قال؟ قال: «مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللهِ»[1] يعني: في حماية الله، في حفظ الله، محروسٌ بإذن الله من كل مكروه ومن كل سوء.

فالصلاة أخواتي أعظم العبادات لغفران الذنوب وتكفير السيئات؛ يقول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وانتبهن لهٰذَا الحديث الذي يُبيِّن لكن أثر الصلاة وعاقبة الاستجابة لها-: «إِنَّ للهِ مَلَكًا يُنَادِي عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ:» يعني: إذا حضر وقت الصلاة نادى هٰذَا الملك، ماذا يقول هٰذَا الملك؟ «يَا بَنِي آدَمَ، قُومُوا إِلَى نِيرَانِكُمْ الَّتِي أَوْقَدْتُمُوهَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، فَأَطْفِئُوهَا بِالصَّلَاةِ»[2].

«يَا بَنِي آدَمَ، قُومُوا إِلَى نِيرَانِكُمْ» يعني: خطاياكم التي ارتكبتموها وظلمتم أنفسكم بها، «قُومُوا إِلَى نِيرَانِكُمْ الَّتِي أَوْقَدْتُمُوهَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، فَأَطْفِئُوهَا» بأي شيء؟ أي: امحوا أثرها بِالصَّلَاةِ.

خرج النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومًا في الشتاء مع أبي ذر وَالْوَرَقُ يَتَهَافَتُ -يعني: من الشجر- فأخذ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بغصن شجرة،

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٢ / ١٢٥) برقم: (٦٥٧)

(٢) أخرجه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (٧ / ١٦١) برقم: (٢٥٩٠)

فَجَعَلَ ذَلِكَ الْوَرَقُ يَتَهَافَتُ، فقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ لَيُصَلِّي الصَّلَاةَ يُرِيدُ بِهَا وَجْهَ اللهِ، فَتَهَافَتُ عَنْهُ ذُنُوبُهُ كَمَا يَتَهَافَتُ هٰذَا الْوَرَقُ عَنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ»[1].

حديث آخر وهو عظيمٌ جدًّا يدلُّكن عَلَىٰ أثر الصلاة في محو الذنوب: قال عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَامَ يُصَلِّي، أُتِيَ بِذُنُوبِهِ كُلها فَوُضِعَتْ عَلَىٰ رَأْسِهِ وَعَاتِقَيْهِ» نحن لا نُدرك هٰذَا لكننا نؤمن به؛ لأن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبرنا بذلك وهو صادقٌ في هٰذَا، إنْ هو إلا وحيٌ يوحى، قال: «أُتِيَ بِذُنُوبِهِ كُلها فَوُضِعَتْ عَلَىٰ رَأْسِهِ وَعَاتِقَيْهِ، فَكُلَّمَا رَكَعَ أَوْ سَجَدَ، تَسَاقَطَتْ عَنْهُ».

واستشعري -أختي الكريمة- هٰذَا الموقف وأنتِ تُصلين كيف سيكون حالكِ مع صلاتكِ، لا شكَّ أنَّ هٰذَا سيدعوكِ إلى الخشوع وإلى الإخلاص في الصلاة وإلى القيام بها عَلَىٰ أحسن وجه، لذا وجب علينا أن نتعلّم أحكام

---

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" (٣٥/ ٤٤١) برقم: (٢١٥٥٦)

هٰذِه الصلاة، وأن نصليها كما صلاها النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»[1].

❸ الوصية الثالثة في هٰذَا الحديث: صيام رمضان، قال: «وَصُومُوا شَهْرَكُمْ».

☜ أخواتي الكريمات؛ المسلم الصادق في عبودية الله عَزَّ وَجَلَّ يستشعر فضل الله عليه بإدراك شهر رمضان، ويُدرك إدراكًا لا تردُّد فيه أنَّ إدراكه شهر رمضان نعمةٌ عظيمةٌ من الله عَزَّ وَجَلَّ عليه؛ لِمَا فيه من الاستزادة من الحسنات ورفعة الدرجات وفتح أبواب الخير أمامه، لذا نجد المسلم يلهج بحمد الله والثناء عليه وسؤال العون عَلَىٰ القيام بهٰذِه النِّعمة.

✍ والدليل عَلَىٰ أنَّ إدراك شهر رمضان نعمةٌ من الله وتوفيقٌ لبابٍ كبيرٍ من أبواب الخير: ما رواه الإمام البيهقي في كتاب [الزهد] بسندٍ حسن، من حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله تَعَالَىٰ عنه، يقول طلحة: "إِنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ يَلِيٍّ" بلي: هٰذَا حيٌّ من أحياء العرب "قُتِل أحدهما في سبيل الله وأُخِّر الآخر بعده سنة" يعني: استُشهد الأول ثم الآخر استُشهد بعد بسنة، قال طلحة:

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٢٨) برقم: (٦٢٨)

"فَرَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ: الجنة فُتِحَت، فرأيت الآخر من الرجلين دخل الجنة قبل الأول" يعني: الذي تأخرت وفاته دخل الجنة قبل الذي تقدمت وفاته "فرأيت الآخر من الرجلين دخل الجنة قبل الأول، فتعجبت" لماذا تعجَّب؟ لأن الأصل أنَّ مَن مات قبل، دخل الجنة قبل هٰذَا الذي في ذهن طلحة، قال طلحة: "فلمَّا أصبحت ذكرت ذلك، فبلَّغت رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" فماذا كان جواب النبي عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام؟ قال عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام لطلحة: «أَلَيْسَ قَدْ صَامَ بَعْدَهُ رَمَضَانَ..» يعني: مِن أسباب تقدُّم دخوله الجنة هو هٰذَا، «أَلَيْسَ قَدْ صَامَ بَعْدَهُ رَمَضَانَ، وَصَلَّى سِتَّةَ آلَافِ رَكْعَةٍ، أَوْ كَذَا وَكَذَا رَكْعَةً صَلَاةَ السَّنَةِ؟»[1].

☜ **فتأملي أيتها الأخت الفاضلة** كيف أنَّ تأخُّر وفاة هٰذَا الصحابي لسنةٍ واحدة فقط أدت به إلى أن يسبق أخاه في دخول الجنة، فكيف بمن يصوم عدة رمضانات؟!

---

(١) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٧ / ٢٤٨) برقم: (٢٩٨٢)

لهٰذَا وجب علينا أن نستشعر هٰذَا الفضل من الله عَزَّ وَجَلَّ إذا أدركنا شهر رمضان وأن نقوم بحقه؛ من حيث أداء هٰذِه الفريضة، ومن حيث تعلُّم أحكامها.

❹ الوصية الرابعة: ثم قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ».

الزكاة التي بها تطهُر النفوس من دنس الأخلاق ومن رديء الخصال من البخل والشُّح ونحو ذلك، قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

✓ بل في أداء الزكاة والقيام بها:

- تزكية للمال
- نماء للمال
- تطهير من حقوق الخَلْق فيه من أهل الزكاة، ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٣٩)﴾ [سبأ: ٣٩].

✓ في إخراج الزكاة دفعٌ لأسباب الهلاك وحلول الآفات في المال؛ يقول جابر رضي الله عنه: قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِذَا أَدَّى

الرَّجُلُ زَكَاةَ مَالِهِ؟ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَدَّى زَكَاةَ مَالِهِ، فَقَدْ ذَهَبَ عَنْهُ شَرُّهُ»[1].

✓ ناهيكِ أختي الكريمة عما يكون في دفع الزكاة لمستحقيها ووضعها في محلها من الهداية وزيادة الإيمان واطمئنان القلب والانتفاع بالقرآن.. إلى غير ذلك.

➢ **أمَّا مَن منع الزكاة** وتكاسل عن أداء هٰذَا الواجب وتهاون في إخراج هٰذِه الشعيرة، فقد عرَّض نفسه للوعيد الشديد، والعذاب المهين مِن الله عَزَّ وَجَلَّ، وأكتفي بذِكر حديثٍ واحدٍ في هٰذَا:

➢ **مما توعَّد الله به مانع الزكاة:** ما أخبر الله عَزَّ وَجَلَّ به في قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ (٣٥)﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥].

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم: (١٥٧٩)

يقول عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام في تفسير هٰذِه الآية -وانتبهن لهٰذَا الحديث أخواتي-: «مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ، لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ»[1].

تأملن هٰذَا الحديث أيتها الأخوات وانقلنه إلى من يتهاون في أداء الزكاة؛

- إنه لا يُحمى عَلَىٰ الذهب والفضة في نارٍ كنار الدنيا، إنما يُحمى عليها في نارٍ أعظم من نار الدنيا كلها، فُضِّلت عليها بتسعةٍ وستين جزءًا.

- إنه إذا أُحمي عليها لا يكوى بها طرفٌ واحدٌ من الجسم، وإنما يُكوى بها الجسم من كل ناحية؛ الجباه من الأمام، والجُنوب من الجوانب، والظهور من الخلف.

- إنه إذا أُكوي بها الجسم لا تُترك حتى تبرد وتزول حرارتها، لكنها كلما بردت أُعيدت فأُحميت؛ لأن هٰذَا العذاب ليس في يوم ولا في شهر ولا في

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ١٠٦) برقم: (١٤٠٢)

سنة ولكن في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة، نسأل الله السلامة والعافية، لذا وجب القيام بهٰذَا الحق من غير توانٍ أبدًا فرارًا من عذاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وغضبه.

❺ الوصية الخامسة: ثم قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتمًا هٰذِه الوصية التي هي من أسباب دخول الجنة: «وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ».

الوصية بالسمع والطاعة لولي الأمر المسلم، فإنَّ السمع والطاعة له فيها سعادة الدنيا والآخرة، ونحمد الله عَزَّ وَجَلَّ أنْ جعلنا في دولةٍ مسلمة وجعل علينا ولاةً وحكَّامًا مسلمين، نحمد الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ هٰذِه النعمة؛ لأن حقيقةً لا يُدرك هٰذَا الخير الذي نحن فيه إلا مَن فقده، وانظروا في الدول الخالية من هٰذَا، فالسمع والطاعة لحكَّامنا وولاة أمرنا في الخير والمعروف أصل من أصول ديننا؛ بهم تجتمع الكلمة، يعم الأمن، يُدفع الظلم، تُدرأ الفتن، تنتظم معايش الناس، يستعينون بهٰذَا الأمر عَلَىٰ إظهار دينهم وطاعة ربهم.

✍ **لذا كان من واجبنا نحو ولاة أمرنا وحكَّامنا:**

أن نعترف بولايتهم، وأن نسمع ونطيع لهم بالمعروف، وألا نقدح فيهم أو نُشيع مسالبهم، بل واجب علينا أن ندعو لهم وأن ننصح لهم، بهٰذَا جاءت النصوص عن النبي عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام.

قال عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَكَرِهَهُ فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُفَارِقُ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَيَمُوتُ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»[1].

وقال عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا، وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ».[2]

والحمدلله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ٤٧) برقم: (٧٠٥٣)

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٦ / ١٩) برقم: (١٨٤٦)

حسابات شبكة بينونة للعلوم الشرعية

ليصلكم جديد شبكة بينونة، يسعدنا أن نتواصل على المواقع التالية:

① 【 تويتر Twitter 】
https://twitter.com/BaynoonaNet

② 【 تيليجرام Telegram 】
https://telegram.me/baynoonanet

③ 【 فيسبوك Facebook 】
https://m.facebook.com/baynoonanetuae/

④ 【 انستقرام Instagram 】
https://instagram.com/baynoonanet

⑤ 【 واتساب WhatsApp 】
احفظ الرقم التالي في هاتفك
☎ https://api.whatsapp.com/send?phone=971555409191
أرسل كلمة "اشتراك"
تنبيه في حال عدم حفظ الرقم لديك
((لن تتمكن من استقبال الرسائل))

⑥ 【 تطبيق الإذاعة 】
لأجهزة الأيفون

https://appsto.re/sa/gpi5eb.i

لأجهزة الأندرويد
https://goo.gl/nJrA9j

⑦ 【 يوتيوب Youtube 】
https://www.youtube.com/c/BaynoonanetUAE

⑧ 【 تمبلر Tumblr 】
https://baynoonanet.tumblr.com/

⑨ 【 بلوجر Blogger 】
https://baynoonanet.blogspot.com/

⑩ 【 فليكر Flickr 】
https://www.flickr.com/photos/baynoonanet/

⑪ 【 لعبة كنوز العلم 】
لأجهزة الأيفون
https://goo.gl/Q8M7A8
لأجهزة الأندرويد
https://goo.gl/vHJbem

【 البريد الإلكتروني 】
info@baynoona.net

【 الموقع الرسمي 】
http://www.baynoona.net/ar/

شبكة بينونة للعلوم الشرعية

جميع الحقوق محفوظة